الثقافة والهوية الاتصالية: التحديات والفرص في العصر الرقمي

Culture and Communicative Identity: Challenges and Opportunities in the Digital Age

بوكحيل سامية [1] *

[1] جامعة محمد الصديق بن يحي -جيجل

المخبر المتعدد التخصصات في العلوم الإنسانية والاجتماعية التطبيقية من أجل التنمية.

samia.boukehil@univ-jijel.dz

تاريخ الإرسال: 2025/07/14 تاريخ القبول: 2025/08/13

****

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة العلاقة المعقدة بين الثقافة والهوية الاتصالية في العصر الرقمي مع تركيز خاص على التأثيرات المتشابكة للعولمة والتكنولوجيا الرقمية على هويات الأفراد والمجتمعات ويتمحور التحليل حول أنماط التفاعل بين الثقافات المختلفة عبر المنصات الرقمية، ويبحث في كيفية تأثير هذه التفاعلات على الهوية الثقافية المحلية، بالإضافة إلى ذلك يتناول التحديات الجوهرية والفرص الواعدة التي يوفرها الفضاء الرقمي في تشكيل هذه الهوية وإثرائها، وتظهر النتائج أن البيئة الرقمية توفر إمكانيات كبيرة لتعزيز الهوية الثقافية، ولكنها في الوقت ذاته تطرح تحديات تتطلب وعيًا استراتيجيًا.

الكلمات المفتاحية: الثقافة؛ الهوية؛ الهوية الاتصالية؛ العصر الرقمي؛ العولمة.

Abstract:

This research aims to study the intricate relationship between culture and communicative identity in the digital age, with a particular focus on the intertwined effects of globalization and digital technology on the identities of individuals and communities. The analysis centers around the patterns of interaction between different cultures through digital platforms, examining how these interactions impact local cultural identity. Additionally, the research addresses the fundamental challenges and promising opportunities that the digital space provides in shaping and enriching this identity , The findings indicate that the digital environment offers significant opportunities to enhance cultural identity, but simultaneously presents challenges that demand strategic awareness.

Key words: Culture; identity; communicative identity; Digital Age; Globalization.

* د. بوكحيل سامية

مقدمة:

تتميز الثقافة والهوية الاتصالية في العصر الرقمي بتعقيد ديناميكي يعكس التحولات السريعة التي يشهدها عالمنا المعاصر، حيث أدت التقنيات الحديثة إلى تغييرات جذرية في طريقة تفاعل الأفراد والمجتمعات مع المعلومات، ومع هذا التحول بات من الممكن تكوين هويات ثقافية جديدة تتواءم مع البيئة الرقمية المتغيرة حيث يعكس هذا التنوع الثقافي تأثيرات عميقة بدءًا من الثقافات التقليدية وصولًا إلى الثقافة الرقمية التي تشهد تفاعلات مستمرة ومتنوعة عبر منصات الإنترنت، وفي ظل هذا السياق تتسارع ظهور تحديات جديدة تتعلق بتوازن الهوية الشخصية مع الثقافة الجماعية، خاصة في ظل انتشار وسائل التواصل الاجتماعي والتطبيقات الإلكترونية.

كما تلعب الثقافة دورًا محوريًا في تحديد طريقة استهلاك وتبادل المعلومات، حيث تؤثر المعايير الثقافية في تشكيل الآراء والمواقف تجاه القضايا الاجتماعية والسياسية، كما أن الهوية الاتصالية تبرز في طريقة الأفراد في التفاعل مع الفضاء الرقمي، مما يعكس تأثيرًا مباشرًا على قدرتهم في التعبير عن أنفسهم وإقامة علاقات مع الآخرين، وتطرح هذه التحولات تساؤلات حيوية حول تأثير العولمة الثقافية وظهور ثقافات هجينة، ويؤدي تفاعل الثقافات المختلفة عبر الإنترنت إلى بيئات غنية بالنقاشات والحوار ولكنها تثير في الوقت ذاته قضايا متعلقة بالتمسك بالهوية والحفاظ على التراث .

وفي هذا الإطار تأتي أهمية هذا البحث لتسليط الضوء على العلاقة بين الثقافة والهوية الاتصالية في ظل العولمة المفرطة، باعتبارها وسيلة للحفاظ على الخصوصية الثقافية.

إن التفاعل بين هذه العناصر يمثل استجابة طبيعية للابتكارات التكنولوجية الرقمية، مما يمنح الأفراد فرصة التعبير عن هويتهم وبلورة توجهاتهم ضمن بيئة رقمية معقدة، وهذا التفاعل لا يقتصر على تفاعل سطحي بل يساهم في بناء فهم متبادل وتعزيز هويات متنوعة تُشكل أساس التجارب الإنسانية في العصر الرقمي.

من خلال هذا السياق تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف كيف يقوم الفرد ببناء هويته الثقافية في مواجهة قوى الاتصال الرقمي، مع التركيز على تأثير هذه القوى في تشكيل الهوية والوجود الثقافي للأفراد في البيئة الرقمية الحديثة، و بناءً على ما سبق يمكن صياغة التساؤل الرئيسي التالي:

ما هي الأبعاد المتعددة لتأثير الفضاء الرقمي على تشكيل الهوية الثقافية والاتصالية للأفراد والمجتمعات في سياق العولمة، وما هي أبرز التحديات والفرص الناجمة عن هذا التفاعل؟

تتفرع عن هذا السؤال التساؤلات التالية:

- كيف يمكن التمييز بدقة بين مفاهيم الهوية الثقافية، الرقمية، الاتصالية، والافتراضية في العصر الرقمي؟
- ما هي أبرز التحولات الثقافية التي أحدثتها التكنولوجيا الرقمية، وكيف أثرت على أنماط التعبير عن الهوية؟
- ما هي التحديات الرئيسية التي تواجه الهوية الثقافية والاتصالية في الفضاء الرقمي، وما هي تداعياتها على الخصوصية الثقافية؟

ما هي الفرص النوعية التي يوفرها الفضاء الرقمي لتعزيز الهوية الثقافية والحفاظ عليها؟

وبناءً على طبيعة الدراسة ومناقشاتها، يمكن صياغة الفرضيات التالية:

الفرضية الرئيسية :يؤدي التفاعل المتزايد مع الفضاء الرقمي إلى تحولات عميقة في تشكيل الهوية الثقافية والاتصالية، حيث يساهم في ظهور هويات هجينة معززة للتنوع الثقافي، ولكنه في الوقت ذاته يطرح تحديات تتعلق بتآكل الخصوصية الثقافية وتشتت الهوية.

الفرضيات الفرعية:

- يساهم تبني نظريات الهوية الاجتماعية والتفاعل الرمزي في تقديم فهم أعمق لآليات تشكيل الهوية الثقافية في البيئة الرقمية.
- تؤدي المنصات الرقمية، عبر آليات التعبير والمشاركة، إلى تعزيز فرص إحياء التراث الثقافي المحلي والترويج له، خاصة في السياقات العربية والجزائرية.
- تزيد التحديات المرتبطة بالتضليل المعلوماتي وفقدان الخصوصية الرقمية من هشاشة الهوية الثقافية التقليدية في العصر الرقمي.

ونظرا لطبيعة هذا البحث الذي يركز على التحليل المفاهيمي، يتبنى المقال المنهج الوصفي التحليلي، الذي يهدف إلى وصف خصائص الظاهرة المدروسة (الثقافة والهوية الاتصالية في العصر الرقمي) وتحليل العلاقات والتأثيرات بين مكوناتها، بالاعتماد على المعرفة الموجودة والأطر النظرية ذات الصلة، والذي يسمح بتقديم صورة شاملة للواقع قيد الدراسة وتفسير ديناميكياته.

أولا: الثقافة والهوية الاتصالية في العصر الرقمي:

في هذا العصر الرقمي الحديث والغني بالتطورات المتلاحقة، أصبحت الثقافة والهوية الاتصالية تشكلان عناصر رئيسية وديناميكية تحدد الطريقة التي يتفاعل بها الأفراد والمجتمعات بأسرها في مختلف الأبعاد الحياتية، فالثقافة هي ذلك الكل المركب من المعرفة والعقيدة والفنون والأخلاق والقانون

والعادات الجمعية وكل القدرات والعادات التي يكتسبها الانسان بصفته فرد في المجتمع (أبو زيد، 1975، صفحة 59) وتمثل أيضا مجموعة القيم والتقاليد والممارسات الموروثة التي تعكس تاريخ وتراث الشعوب المتنوعة وهي بالطبع متأثرة بشكل كبير بالتطورات التقنية السريعة والتغيرات الاجتماعية والنفسية التي نعيشها اليوم كما تلعب الهوية الاتصالية دورًا حيويًا ومؤثرًا في كيفية تعبير الأفراد عن أنفسهم عبر المنصات الرقمية المتنوعة والمختلفة، مما يؤدي إلى ظهور وتشكيل هويات جديدة ومتنوعة تتجاوز الحدود الجغرافية والثقافية التي طالما كانت قائمة من قبل، وتوفر هذه الهوية الفردية والجماعية خيارات متعددة للمشاركة وفتح مجالات حوارية غير محدودة، حيث يشارك الأفراد من خلفيات ثقافية واجتماعية متعددة في نقاشات عميقة ومثيرة تتناول موضوعات الهوية والإرث الثقافي والثقافات المختلفة ومع ذلك لا بد من الاعتراف بأن الثقافات التقليدية قد تواجه تهديدات جادة من الثقافات المهيمنة التي غالبًا ما تسعى إلى الاستحواذ على الفضاءات الثقافية المتنوعة والسعي نحو فرض نمط واحد من الهوية، لذا يصبح من الضروري للغاية فهم الديناميكيات المعقدة المرتبطة بالهوية الثقافية، وتحقيق توازن ضروري بين التواصل الفعال والخصوصيات الثقافية المقدسة بما يضمن ديمومتها وأصالتها، كما أن العصر الرقمي يطرح أيضًا تحديات جديدة تتعلق بالتضليل والتطرف الفكري، مما يتطلب وعياً ثقافياً واجتماعياً عميقاً لتعزيز الهوية الثقافية بشكل إيجابي وبناء مجتمعات متماسكة تقدر التنوع وترفض العزلة والتهميش مما يسهم في خلق بيئة من التفاهم والتعاون بين الثقافات المختلفة.

1. **قراءة في المفاهيم:**

تناقش "الثقافة والهوية الاتصالية" كمفاهيم أساسية ضمن دراسة التفاعل الإنساني في العصر الرقمي، حيث يسهم هذا التفاعل في تشكيل الهوية بشكل متزايد، وتجسد الثقافة مجموعة من المعاني والقيم والممارسات التي يتبناها الأفراد في مجتمع معين، وينظر إلى الهوية الاتصالية على أنها الشكل الذي يتم من خلاله تمثيل هذه الثقافة في الفضاء الرقمي، فالثقافة ليست فقط تجسيدًا للعادات والتقاليد، بل تمتد لتشمل الأفكار والرموز، والأساليب التكنولوجية التي ترتبط بها المجتمعات وكيفية تفاعلها مع العالم الخارجي.

وتتفاعل الهوية الاتصالية مع الثقافة من خلال القنوات الرقمية، التي تمثل الأبعاد الجديدة للجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وفي هذا السياق تبرز مفاهيم مثل الهوية الرقمية والخصوصية الرقمية، مما يعكس كيفية تأثر الأفراد بمحتويات الشبكات الاجتماعية والتطبيقات الرقمية، إذ تتداخل هذه الهويات مع الصورة الذاتية، مما يفضي إلى ظهور تحديات تتعلق بالتحكم في الرسائل الشخصية وكيفية إدراكها من قبل الآخرين.

وتتطلب دراسة هذه المفاهيم فهمًا عميقًا للوسائط التي يتم استخدامها في هذه الهويات وكذلك للقدرة على التنقل بين الثقافات المختلفة في عصر العولمة الرقمية، فالهوية الاتصالية ليست جامدة، بل هي ديناميكية تتطور باستمرار من خلال التفاعل والمشاركة مما يعكس التحديات والفرص في تعزيز التنوع الثقافي، بمعنى آخر يمكن اعتبار الثقافة والهوية الاتصالية محاور مركزية لدراسة كيفية تأثير التكنولوجيا على تفاعلات الأفراد والمجتمعات، مما يسهم في رسم معالم الفهم المعاصر للثقافات في مركز سياسي واجتماعي متغير.

الشكل رقم (1): مختصر لمفهوم الهوية الاتصالية

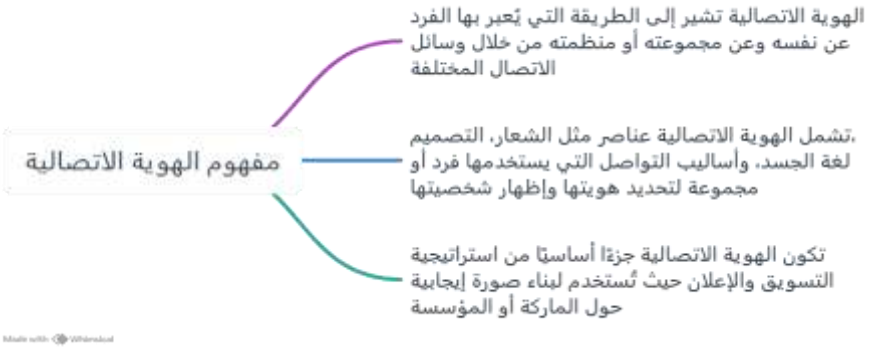

المصدر: من إعداد الباحثة

يعتبر مفهوم الهوية مفهوما ذو خصوصية محددة والأكثر تهديدا من قبل العولمة والتي ستمحي كل اعتزاز بالثقافة والهوية المحلية (ملال، 2021، صفحة 660) .

فالهوية هي مجموعة المعلومات والبيانات التي تخص الفرد على وجه الخصوص وهي الرابط التكنولوجي بين الكيان الحقيقي والشخص الافتراضي والمتمثل في واجهة الملف الشخصي أو الصفة الشخصية (توميو و بوخبزة، 2015، صفحة 247)،كما تعرف على أنها مجموع الصفات والدلالات والرموز التي يوظفها الانسان للتعريف بنفسه في الفضاء الافتراضي ويتفاعل ويتواصل على أساسها مع الأخريين

ويعد التمييز الدقيق بين المفاهيم المتقاربة مثل "الهوية الثقافية"، "الهوية الرقمية"، "الهوية الاتصالية" و"الهوية الافتراضية" أمرًا حاسمًا لفهم عميق لتأثير العصر الرقمي على الذات والمجتمع، فالفشل في التمييز بينها قد يؤدي إلى التباس في التحليل واستنتاجات غير دقيقة، وهذه المفاهيم ليست منفصلة تمامًا، بل هي طبقات ومظاهر مختلفة للهوية في الفضاء الرقمي، تتفاعل وتتداخل بطرق معقدة.

- **الهوية الثقافية :(Cultural Identity)** تُعرف الهوية الثقافية بأنها "ذلك الكل المركب من المعرفة والعقيدة والفنون والأخلاق والقانون والعادات الجمعية وكل القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان بصفته فردًا في المجتمع " (أبو زيد، 1975، صفحة 59) ،و تتجذر الهوية الثقافية في

التراث المشترك والقيم والمعتقدات والممارسات، وغالبًا ما ترتبط بمجموعات جغرافية أو إثنية محددة وتتميز بكونها ديناميكية ولكنها تتغير ببطء نسبيًا مقارنة بالهويات الرقمية.

- **الهوية الاتصالية :(Communicative Identity)** تشير الهوية الاتصالية إلى الطريقة التي يعبر بها الأفراد والمجموعات عن أنفسهم في سياقات اتصالية متنوعة، بدءًا من المحادثات اليومية وحتى المنصات الرقمية، فهي "انعكاس للثقافة"، حيث يستمد الأفراد خصائصهم وهويتهم من الثقافة السائدة ويندمجون فيها، ويركز هذا المفهوم على فعل التعبير والتفاعل، ويتأثر بقنوات وسياقات الاتصال.

- **الهوية الرقمية :(Digital Identity)** تُعرف الهوية الرقمية بأنها مجموعة المعلومات والبيانات والصفات التي تخص الفرد على وجه الخصوص في الفضاء الافتراضي (صلي و يوسف، 2022، صفحة 891) تتألف الهوية الرقمية من البيانات والملفات الشخصية والبصمات الرقمية التي يتركها الفرد عبر الإنترنت، وغالبًا ما تُدار بواسطة المنصات أو أطراف ثالثة، ويمكن أن تكون مجزأة عبر خدمات رقمية مختلفة.
- **الهوية الافتراضية :(Virtual Identity)** تُعرف الهوية الافتراضية بأنها "الشخصية التي يتم إنشاءها من طرف المستخدم الذي يعمل كصلة وصل بين الشخص الطبيعي والشخص الظاهري" (كسيرة، 2017، صفحة 130)وهي الشخصية أو العرض الذاتي الذي ينشأ ويمارس داخل البيئات الافتراضية عبر الإنترنت، وغالبًا ما تسمح بالتجريب وتعدد الذوات، وقد تختلف عن الهوية في العالم الواقعي.

ولفهم أوجه التشابه والاختلاف بين هذه المفاهيم بشكل أوضح، يقدم الجدول التالي مقارنة تفصيلية:

جدول 1: مقارنة بين مفاهيم الهوية في العصر الرقمي

المفهوم	علاقته بالبيئة الرقمية	الخصائص الرئيسية	أمثلة	التعريف
الهوية الثقافية	الأساس الذي تتشكل عليه الهويات الأخرى وتتأثر بالتحولات الرقمية ولكنها تحافظ على جوهرها.	متجذرة في التراث المشترك مرتبطة بالمجموعات الجغرافية/الإثنية ديناميكية ولكنها تتغير ببطء.	اللغة العربية العادات الجزائرية والفن الأمازيغي التقليدي.	الكل المركب من المعرفة العقيدة، الفنون الأخلاق القانون، العادات الجمعية، والقيم والتقاليد الموروثة التي تعكس تاريخ وتراث الشعوب .

الهوية الاتصالية	تُشكل وتُعبر عنها بشكل متزايد عبر المنصات الرقمية (وسائل التواصل، المدونات).	تركز على فعل التعبير والتفاعل، وتتأثر بقنوات وسياقات الاتصال، يمكن أن تكون على الإنترنت أو خارجه.	استخدام اللهجة المحلية في منشورات فيسبوك، مشاركة محتوى يعكس قيمًا ثقافية.	الطريقة التي يعبر بها الأفراد والمجموعات عن أنفسهم في سياقات اتصالية متنوعة (يومية ورقمية)، وهي انعكاس للثقافة.
الهوية الرقمية	هي تمثيل الفرد في الفضاء الرقمي، تبنى من خلال التفاعلات الرقمية والبيانات المخزنة.	تتألف من البيانات والملفات الشخصية والبصمات الرقمية؛ تُدار غالبًا بواسطة المنصات؛ قد تكون مجزأة.	ملف شخصي على لينكدإن، تاريخ التصفح، بيانات التسوق عبر الإنترنت.	مجموعة المعلومات والبيانات التي تخص الفرد على الإنترنت، وهي الرابط التكنولوجي بين الكيان الحقيقي والشخص الافتراضي.
الهوية الافتراضية	ُبنى وتمارس بالكامل داخل البيئات الرقمية (ألعاب، منتديات، حسابات مجهولة).	الشخصية أو العرض الذاتي المُنشأ في البيئات الافتراضية، تسمح بالتجريب وتعدد الذواتقد تختلف عن الهوية الواقعية.	اسم مستعار في منتدى، شخصية في لعبة فيديو متعددة اللاعبين، حساب مجهول على تويتر.	مجموع الصفات والدلالات والرموز التي يوظفها الإنسان للتعريف بنفسه في الفضاء الافتراضي ويتفاعل ويتواصل على أساسها مع الآخرين.

المصدر: من إعداد الباحثة

تظهر هذه المقارنة أن الهوية الثقافية هي الطبقة الأساسية التي تنبع منها الهويات الأخرى، والهوية الاتصالية هي العملية التي تعبر بها الهوية (الثقافية وغيرها) من خلال التواصل، والهوية الرقمية هي التمثيل البياني أو المعلوماتي للهوية في الفضاء الرقمي، أما الهوية الافتراضية فهي الشخصية التي يختار الفرد تجسيدها في البيئات الافتراضية، والتي قد تكون متسقة أو مختلفة عن هويته الواقعية أو الثقافية، هذا الفهم المتعدد الطبقات ضروري لإجراء تحليل دقيق لتأثيرات العصر الرقمي.

2.التحولات الثقافية في العصر الرقمي:

لقد ساهمت تكنولوجيا الاتصال الرقمي في إحداث الكثير من التحولات والتغيرات الجذرية في جميع المجالات، مما أثر في بنيتها وتركيبتها واستقرارها وتفكيرها وفلسفتها، وتتجلى هذه التحولات الثقافية في العصر الرقمي بشكل بارز من خلال تأثير التكنولوجيا على كافة جوانب الحياة اليومية للأفراد، مما أفرز هويات اتصالية جديدة تتجاوز الحدود التقليدية، لذلك لا ينكر مدى مساهمة تكنولوجيا الاتصال

الرقمي في الفترة الأخيرة من إحداث الكثير من التحولات والتغيرات الجدرية في جميع المجالات والتي أثرت في بنيتها وتركيبتها واستقرارها وتفكيرها وفلسفتها (معتصم ، 2005، صفحة 154)،

لقد فتح التطور السريع في وسائل التواصل الرقمية أمام الأفراد قنوات متعددة للتفاعل وتبادل المعرفة، مما أتاح لهم الوصول إلى ثقافات متنوعة وسريعة التطور، وعليه أصبح بإمكان الأفراد تكوين **هويات هجينة** نتيجة للتداخل بين الثقافة المحلية والثقافات العالمية من خلال الانفتاح على المعلومات ووسائل الإعلام المتنوعة، هذا التداخل يشير إلى أن الأفراد لم يعودوا ينتمون إلى مجموعة ثقافية واحدة بشكل حصري، بل يكتسبون عناصر من ثقافات متعددة، مما يثري هويتهم ويجعلها أكثر تعقيدًا وتنوعًا.

وتسهم التكنولوجيا أيضًا في إعادة تشكيل المفاهيم التقليدية للثقافة، إذ يمكن للمستخدمين الآن استهلاك المحتوى الثقافي والتفاعل معه بطرق غير مسبوقة، حيث أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي منصات لإعادة اكتشاف الفنون وتبادل الأفكار بين الثقافات، إذ تتجلى هذه الظاهرة عبر الهويات الجديدة التي يتبناها الأفراد نتيجة تأثرهم بالمحتوى المتنوع المتاح، مما يدفعهم إلى الاستئناف أو حتى التخلي عن عناصر من ثقافتهم الأصلية، هذا التغيير يعكس ديناميكية الهوية الثقافية في البيئة الرقمية ويعزز من أهمية دراسة التفاعل بين الثقافة والهوية الاتصالية في العصر الحالي.

علاوة على ذلك، تكمن أهم التحولات الثقافية في تمكين الأفراد من استخدام التطبيقات الرقمية لقدرتها على توصيل المعلومات (محمدي و بخوش سامي، 2021، صفحة 660) ، والتي تنجم عن الإقبال المتزايد على الرقمنة، ولا تتوقف هذه التحولات عند حدود التواصل، بل تشمل أيضًا التغيرات في القيم والمعايير الاجتماعية، إذ ينعكس ذلك في ظاهرة "الرقمنة الثقافية" ، و تدرَج الطقوس والعادات في سياق زمني مكثف، متمثلة في الفعاليات الثقافية التي تبث عبر الإنترنت أو تحوَّل إلى شيء قابل للمشاركة بسهولة هذه الظاهرة لا تعني مجرد الوصول إلى المحتوى الثقافي بل تعني إعادة تشكيل الأشكال الثقافية نفسها في بيئة رقمية، مما قد يحافظ على معناها الأصلي أو يغيره، وفي هذا السياق يمثل هذا التحول تحديًا وفرصة للنهوض بالثقافات المحلية، فبعضها قد يتجه نحو استثمار الرقمنة كوسيلة للحفاظ على الهوية وتطويرها بينما قد يشهد آخرون تناقضات تؤدي إلى تفكك تلك الهويات.

3.تأثير التكنولوجيا على الثقافة والهوية الاتصالية

لقد استطاعت التكنولوجيا أن تؤسس لحضارة وثقافة كونية جديدة لصالح الدول المنتجة للتكنولوجيا، مما جعل الهوية من أكثر الأبعاد استهدافا (بن لعلام و وبنان، 2021، صفحة 306) ،حيث تؤثر التكنولوجيا بشكل عميق على الثقافة والهوية الاتصالية وتساهم في إعادة تشكيل الروابط الاجتماعية وأنماط التواصل بين الأفراد والمجتمعات، في عصر الكتروني يشهد تسارعاً في تبادل المعلومات، حيث

تصبح الهوية الاتصالية سائلة وقابلة للتغيير متأثرة بالمنصات الرقمية التي تمنح الأفراد فرصاً للتعبير عن أنفسهم بطرق كانت محدودة في السابق، كما تتحول الثقافة إلى مجموعة من التفاعلات الديناميكية، كما يتم إنتاج المعاني واستهلاكها في إطار رقمي مشترك، مما يخلق ثقافات فرعية تتجاوز الحدود التقليدية للمجتمعات مما يزيد الوعي بعالمية العالم وبوحدة البشرية ، لذلك تبرز بوضوح الهوية والثقافة العالمية التي ستحل بالتدريج محل الهوية والثقافة المحلية، أي أن البشرية ستكون ذات ثقافة واحدة ويشترك بعضها البعض في ثقافة وقيم عميقة تتخطى كل الخصوصيات (بلالي، 2016، صفحة 117).

بالإضافة إلى ذلك تلعب وسائل التواصل الاجتماعي دوراً محورياً في تشكيل هذه الهوية الاتصالية إذ تتيح هذه المنصات للأفراد التعبير عن آرائهم ومعتقداتهم، مما يساهم في تشكيل جماعات للنقاش ومشاركة التجارب الثقافية، ومع ذلك فإن هذا الانفتاح قد يؤدي إلى تحديات تتمثل في تفكك الهوية التقليدية، حيث تتداخل الثقافات وتتفاعل بطرق معقدة، وقد ينجم عن ذلك تضارب في القيم والمعايير الثقافية، مما يؤدي إلى استجابة جديدة لتحديات الانتماء والخصوصية في عصر العولمة الرقمية.

ونتيجة ذلك يظهر أن تأثير التكنولوجيا على الثقافة والهوية الاتصالية حاجة ملحة لفهم الظواهر الناتجة عن هذه التحولات، وذلك يتطلب دراسة التحولات في الهوية الفردية والجماعية، ومحاولة رؤية كيف تتفاعل القيم الثقافية مع الفضاء الرقمي، ويمكن أيضا أن تظهر تأثيرات إيجابية وسلبية من خلال التجارب الإنسانية المعقدة التي سعت لتحقيق التوازن بين تقنيات الاتصال الحديثة والاحتفاظ بتقاليد الهوية الثقافية، وبالتالي تعكس هذه التحولات ليس فقط كيف نعيش ونتواصل، بل أيضاً كيف نُعرّف أنفسنا في عالم يتسم بالتغيير المستمر والتعقيد.

ثانيا: قراءة في النظريات المفسرة

لتعزيز الطرح وتوفير أساس تحليلي متين، يستند هذا البحث إلى نظريتين محوريتين في مجال الاتصال والعلوم الاجتماعية هما نظرية الهوية الاجتماعية ونظرية التفاعل الرمزي، حيث تساهم هاتان النظريتان في تفسير آليات تشكيل الهوية الثقافية والاتصالية في البيئة الرقمية، وتقدم فهم أعمق للديناميكيات الاجتماعية والنفسية التي تحكم تفاعلات الأفراد في هذا الفضاء المتغير.

1. نظرية الهوية الاجتماعية(Social Identity Theory - SIT)

تعد نظرية الهوية الاجتماعية إطارا نفسيًا يفترض أن إحساس الشخص بذاته يعتمد بشكل كبير على عضويته في المجموعات الاجتماعية، وتقوم هذه النظرية على فكرة أن الأفراد يسعون إلى تحسين صورتهم الذاتية من خلال تعزيز احترامهم لذاتهم، وتفسر كيف يؤثر تصور الذات والانتماء الجماعي على العلاقات بين المجموعات، وتؤكد أن الأفراد يستمدون تقديرهم لذواتهم من عضويتهم في مجموعات

اجتماعية وتسعى لتفسير الدوافع وراء تعزيز الصورة الذاتية من خلال الانتماء لمجموعات ناجحة أو مميزة (Hogg, 2016, p. 5)، كما توسعت النظرية لتشمل موضوعات مثل التأثير الاجتماعي، القيادة، الحشد، والسلوك الجمعي، وتطبيقاتها في السياقات التنظيمية واللغوية

وفي العصر الرقمي تسقط نظرية الهوية الاجتماعية بشكل كبير على المجتمعات الافتراضية والمنصات الرقمية، حيث يمكن للأفراد تصنيف أنفسهم والآخرين بناءً على الانتماء إلى مجموعات اهتمام مشتركة، أو ثقافات فرعية رقمية، أو حتى مجموعات دعم عبر الإنترنت، ويسعون إلى تعزيز هويتهم الذاتية من خلال المشاركة في هذه المجموعات، وتبني سلوكياتها ومعاييرها، والمساهمة في تميزها الإيجابي عن المجموعات الأخرى، وهذا يساعد في فهم سبب انخراط الأفراد في النقاشات الثقافية عبر الإنترنت، أو دفاعهم عن هوياتهم الثقافية في مواجهة التحديات الرقمية، أو سعيهم للانتماء إلى مجتمعات رقمية تعكس قيمهم.

2. نظرية التفاعل الرمزي(Symbolic Interactionism - SI)

تعد نظرية التفاعل الرمزي إطارًا سوسيولوجيًا يركز على كيفية بناء الأفراد للمعنى من خلال التفاعلات الرمزية، لا سيما عبر اللغة والرموز المشتركة، وتفترض هذه النظرية أن المعنى ليس متأصلاً في الأشياء بحد ذاتها، بل هو يبنى ويتطور من خلال التفاعل الاجتماعي **(Herber, 1969, p. 5)**، ويطور الأفراد إحساسًا بالهوية الذاتية من خلال هذه التفاعلات، حيث تشكل اللغة والرموز أدوات أساسية لتشكيل الإدراك الذاتي والسلوك الاجتماعي.

وتوضح نظرية التفاعل الرمزي أن البشر يفهمون الأنشطة المختلفة في المجتمع من خلال تفاعلاتهم المتبادلة مع البيئة عبر اللغة والرموز التي يفهمونها، ولتجنب سوء التفسير تؤكد النظرية على أهمية التفاعل الوثيق لفهم أفضل للغة والعلامات والرموز والهياكل الاجتماعية.

وفي سياق العصر الرقمي تقدم نظرية التفاعل الرمزي رؤى قيمة حول بناء الهويات الرقمية والافتراضية فالاتصال عبر الإنترنت، سواء كان نصيًا أو مرئيًا أو صوتيًا، يعتمد بشكل كبير على تبادل الرموز، فالأفراد يستخدمون الكلمات والصور ومقاطع الفيديو والميمات والرموز التعبيرية (الإيموجي) للتعبير عن أنفسهم والتفاوض على هوياتهم، وتفسير هويات الآخرين، على سبيل المثال، تعد الميمات أدوات محورية للتعبير الثقافي، حيث تساهم في تعزيز شعور فريد بالانتماء والاستمرارية الثقافية **(Huang, H, Zhang, L, & Hu, X, 2022, p. 24)**، وتؤثر في الهويات الشخصية والجماعية.

تساعد هذه النظرية في فهم كيف ينشئ الأفراد صورًا لأنفسهم ويحددون هوياتهم الاجتماعية من خلال التبادل الرمزي للرسائل والرموز، كما أنها تعزز الوعي الذاتي، مما يساعد في فهم كيفية استخدام الرموز

للتعبير عن الذات وتحديد المواقف في المجتمع، وبشكل عام يساهم التركيز على التفاعلات الرمزية في توفير أدوات فعالة للأفراد لفهم أنفسهم وتحليل مواقفهم وخبراتهم الاجتماعية في الفضاء الرقمي.

ثالثا. تحديات الهوية الاتصالية في العصر الرقمي

تتجلى التحديات المرتبطة بالهوية الاتصالية في العصر الرقمي في مجموعة من الأبعاد التي تتناول مجالات متعددة، تتراوح بين الأخلاق والقانون إلى الهوية الثقافية والاجتماعية، وفي ظل الابتكارات التكنولوجية المتسارعة، باتت الهوية الاتصالية تتعرض لتهديدات جمة، فالهوية في إطار المواطنة الرقمية والتفاعل مع هويات رقمية مختلفة تتجاوز الهوية الوطنية والثقافة المحلية لتصبح مجرد هوية افتراضية تتغير معها محددات الهوية شكلا ومضمونا (البار و دني، 2021، صفحة 89)، حيث أصبح الفرد في فضاء الإنترنت قادرًا على تشكيل هويته بطرق تسمح له بالتنقل بين منصات متعددة، ولكن هذا التنقل يأتي مع تعقيدات تتعلق بالشفافية والمصداقية، حيث يسهم الإفراط في التخصيص المعلوماتي الذي تتميز به بعض المنصات في خلق مجموعات مغلقة من المعلومات، مما يعزز الفجوات الثقافية وينتج عنها تجزئة وجهات النظر حول الهويات المختلفة.

وتتمثل الأبعاد الرئيسية لهذه التحديات فيما يلي:

- **التشتت الثقافي** :مع توافر المعلومات من جميع أنحاء العالم، يمكن أن يؤدي ذلك إلى تآكل الهويات الثقافية المحلية، حيث يمكن أن تهيمن الثقافات العالمية على الثقافات المحلية، هذا التشتت يُبرز صراعًا بين الرغبة في الانفتاح العالمي والحاجة إلى الحفاظ على الخصوصية الثقافية، مما قد يؤدي إلى فقدان عناصر جوهرية من الهوية الأصلية.
- **التضليل المعلوماتي** :يسهم انتشار الأخبار الكاذبة والمعلومات المغلوطة في تشويه الهوية الثقافية ويؤثر على كيفية فهم الأفراد لثقافاتهم، وإن قدرة الأفراد على التمييز بين المعلومات الموثوقة وغير الموثوقة تصبح حاسمة، حيث يمكن للمعلومات المضللة أن تعزز الصور النمطية السلبية أو تثير النزاعات الثقافية، مما يؤثر على بناء المعنى الرمزي للهوية.
- **فقدان الخصوصية** :في ظل الانفتاح الرقمي قد يشعر الأفراد بأن هويتهم الثقافية مهددة بسبب مراقبة الأنشطة وبيع البيانات الشخصية، هذا التحدي لا يقتصر على البيانات الشخصية فحسب، بل يمتد ليشمل استغلال التعبيرات الثقافية لأغراض تجارية أو سياسية دون موافقة مما يثير تساؤلات حول الملكية الثقافية والتحكم في السرديات.
- **عدم المساواة الرقمية** :إن الوصول المحدود إلى التكنولوجيا والإنترنت في بعض المناطق يمكن أن يؤدي إلى تفريق المجتمعات وتباين التجارب الثقافية .هذا التفاوت في الوصول يعمق الفجوات

القائمة بين الثقافات، ويحد من قدرة المجتمعات الأقل حظًا على التعبير عن هويتها الثقافية رقميًا أو الاستفادة من الفرص التي توفرها المنصات الرقمية.

بالإضافة إلى ذلك تكتسب القضايا الأخلاقية والقانونية أهمية بارزة حين يتعلق الأمر بالهوية الاتصالية، فالتحديات التي تواجه الأفراد في حماية بياناتهم الشخصية وتأكيد هويتهم تتطلب تفكيرًا عميقًا حول كيفية إدارة المعلومات الشخصية .

ويشكل الأمن السيبراني تحديًا كبيرًا مع تزايد الهجمات الإلكترونية، مما يتعين تعزيز البيئة الأمنية الرقمية وتطوير استراتيجيات فعالة لحماية البيانات والمعلومات والخصوصية (بن أحمد و بن أحمد، 2025، صفحة 507)، هذه التحديات مترابطة وتتفاقم بعضها البعض، فالتضليل المعلوماتي على سبيل المثال يمكن أن يزيد من التشتت الثقافي من خلال خلق غرف صدى وتعزيز الاستقطاب داخل المجتمعات الرقمية، مما يجعل حماية الخصوصية ومكافحة عدم المساواة الرقمية أكثر صعوبة، و هذا يشير إلى حلقة مفرغة حيث يؤدي تحدٍ واحد إلى تضخيم تحدٍ آخر، مما يستدعي مقاربة شاملة ومتكاملة.

1. فرص الهوية الاتصالية في العصر الرقمي

على الرغم من التحديات الجوهرية التي يطرحها العصر الرقمي، إلا أنه يفتح آفاقًا واسعة وفرصًا فريدة لتعزيز الهوية الاتصالية والثقافية، وهذا الانفتاح غير المشروط على العالم وثقافات الشعوب المختلفة دون ضوابط أو معايير يمكن أن يشكل القانون في هذا الانفتاح (بن واصل، 2022، صفحة 1236).
حيث هذا يعمل النظام الرقمي على بناء وتحديد الهوية الرقمية والنماذج السلوكية للفاعلين في المجتمع الرقمي، إلا أن هذا لا يعني بأن هذه القوالب تقدم هويات رقمية جامدة وإنما تتيح فرص متعددة ومتنوعة ومجالات واسعة للتفاعل (كريملي، 2022، صفحة 86) .

وهذه الفرص لا تقتصر على مجرد تسهيل التواصل، بل تمتد لتشمل إمكانيات غير مسبوقة لإحياء التراث، وتعزيز الإبداع، وتشكيل هويات هجينة تعكس التنوع العالمي وإن استغلال هذه الفرص يتطلب تفاعلاً استراتيجيًا ومبادرات استباقية من الأفراد والمؤسسات الثقافية، وهذه العمليات التفاعلية تعزز من الاحتكاك بين الثقافات، مما يُفضي إلى فرصة إيجابية لتشكيل هوية اتصالية أكثر شمولية وثراء فقد فرض العصر الرقمي تغيرا في الهوية والثقافة لاسيما الطريقة التي يعيش بها الفرد في أنحاء العالم وقد دخلت ضمن هذا التغيير أنماط سلوكية ومعاشية وفكرية وحتى طرق التعبير ووجهات النظر (الدهشان، 2014، صفحة 53)، ومن بين هذه الفرص نجد:

- **تعزيز التواصل العالمي والتفاهم المتبادل:** تُعد قدرة الإنترنت على تجاوز الحواجز الزمنية والجغرافية إحدى أبرز الفرص المتاحة حيث تتيح منصات التواصل الاجتماعي للأفراد من مختلف الثقافات التفاعل ومشاركة تجاربهم في الوقت الفعلي، مما يعزز الفهم المتبادل والحوار بين الثقافات المختلفة،هذه العمليات التفاعلية تزيد من الاحتكاك بين الثقافات، مما يُفضي إلى فرصة إيجابية لتشكيل هوية اتصالية أكثر شمولية وثراء، وإن هذا الانفتاح غير المشروط على العالم وثقافات الشعوب المختلفة، على الرغم من أنه يطرح تحديات، إلا أنه يمثل فرصة لتعزيز التسامح والتعايش وتقليل الانغلاق الثقافي.
- **إحياء وتعزيز التراث الثقافي المحلي:** يمكن استخدام التكنولوجيا لتعزيز وحماية الثقافات المحلية، مثل تطبيقات تعليم اللغة والتراث الثقافي، وتبرز هنا العديد من الأمثلة التطبيقية من الواقع العربي والجزائري التي تجسد هذه الفرصة مثل:
- **تطبيق :"Discover Algeria»** تم إطلاق هذا التطبيق للترويج الرقمي للتراث الجزائري، مما يمثل خطوة عملية نحو جعل التراث الثقافي متاحًا وجذابًا لجمهور أوسع، هذا النوع من المبادرات الرقمية يعزز الفخر بالهوية الثقافية المحلية ويساهم في الحفاظ عليها من خلال التوثيق الرقمي والوصول العالمي.
- **التوثيق الرقمي لموقع تيمقاد الأثري :** في إطار مشروع "الغوص في التراث الثقافي" لمنظمة اليونسكو انطلقت عمليات التوثيق الرقمي ثلاثي الأبعاد لموقع تيمقاد الأثري في الجزائر، و تهدف هذه المبادرة بالتعاون بين وزارة الثقافة والفنون الجزائرية وخبراء اليونسكو، إلى إعداد نسخ رقمية دقيقة للموقع باستخدام أحدث التقنيات، مما يساهم في الحفاظ على تفاصيله في شكل رقمي يمكن استغلاله في أي وقت، ويعزز حمايته وتثمينه والترويج له، وهذا يوضح كيف يمكن للتقنيات المتقدمة أن تكون جسرًا بين الماضي والحاضر، وتضمن استمرارية التراث للأجيال القادمة.
- **منصة "هوية" لعلوم التراث والسياحة :**في العالم العربي، تم إطلاق منصة "هوية" لتعزيز الهوية الثقافية ومواجهة التزييف المعرفي، من خلال تمكين المتخصصين من تقديم المعرفة العلمية الدقيقة وفتح آفاق للتفاعل مع الجمهور العام، وتساهم هذه المنصات في الحفاظ على التراث الثقافي من خلال إنشاء نسخ رقمية أقل عرضة للتلف، وتعزيز عمليات البحث والتعليم، وتسهيل مشاركة المعلومات مع جمهور واسع عبر الإنترنت.

- **الابتكار والإبداع في التعبير الثقافي:** توفر الهوية الاتصالية في العصر الرقمي فرصًا للابتكار والإبداع، حيث تمكن المنصات الرقمية الأفراد والمجموعات من التعبير عن أفكارهم وآرائهم بطرق جديدة، مثل الفنون التفاعلية والوسائط المتعددة، وهذا التنوع في التعبير لا يُثري الهوية الثقافية فحسب، بل يمكن المعنيين من استكشاف أبعاد جديدة من الهوية الشخصية والجماعية.
- **تشكيل الهوية الثقافية عبر المنصات الرقمية:** يمكن لشبكة الإنترنت أن تساعد الأفراد في بناء هويتهم الثقافية من خلال منصات مثل المدونات واليوتيوب، والمحتوى الحي، وتبرز تجارب يوتيوب في الجزائر كنموذج لتشكيل الهوية الثقافية الرقمية من خلال نقاشات يوتيوب حول الثقافة والأدب الجزائري، حيث تستضيف قنوات يوتيوب جزائرية نقاشات حيوية حول الثقافة الجزائرية، والأدب، وعادات القراءة، هذه المنصات لا تقتصر على عرض المحتوى بل تخلق مجتمعات افتراضية حيث يتفاعل الكتاب والقراء والمهتمون بالثقافة، مما يعزز الشعور بالانتماء الثقافي المشترك، كما أن المشاركة الجزائرية في معارض الكتاب الدولية عبر الإعلام الرقمي تظهر قنوات يوتيوب ومحتواها الرقمي كيف يمكن للمثقفين الجزائريين المشاركة في ندوات ثقافية مشتركة خلال معارض الكتاب الدولية، لذلك كانت الهوية الاتصالية محورية في تشكيل المجتمعات وبناء العلاقات الاجتماعية والثقافية عبرَ العصور، وفي العصر الرقمي تبرز العديد من الفرص التي تعزز من هذا الجانب، حيث تتيح التقنيات الحديثة ووسائل التواصل الاجتماعي نقاشات أعمق وتفاعلات حيوية بين الأفراد والمجموعات الثقافية المختلفة، فهذه الأدوات لا تعمل فقط على تسهيل الفهم المتبادل، بل تفتح أيضًا أبوابًا جديدة لتعزيز الهوية الثقافية، مما يسهم في بناء مجتمع معلوماتي يشمل جميع الأفراد على اختلاف خلفياتهم الثقافية والاجتماعية.

خاتمة:

لقد كشفت هذه الدراسة أن الثقافة والهوية الاتصالية في العصر الرقمي تُعدان عنصرًا أساسيًا في تشكيل النسيج الاجتماعي المعاصر، حيث تمنح التكنولوجيا الحديثة الأفراد والجماعات منصات جديدة للتعبير عن أنفسهم ومشاركة تجاربهم الثقافية، وقد أظهر التحليل أن الفضاء الرقمي يحمل طبيعة مزدوجة، فهو يوفر إمكانيات هائلة لتعزيز الهوية الثقافية وتوسيع نطاقها من خلال التفاعل الثقافي وتبادل الأفكار والممارسات في وقت قياسي، هذه الفرص تؤدي إلى تبادل الأفكار والممارسات الثقافية مما يساهم في تعزيز التنوع الثقافي وخلق مساحات رقمية تعكس ممارسات متعددة، وبالتالي يساهم في بناء وعي مشترك بين الأفراد، ومع ذلك يطرح هذا الفضاء الرقمي تحديات كبيرة تتعلق

بالتحريف والاغتراب الثقافي، إذ تصبح الهويات الثقافية عرضة للاختزال أو التشويه نتيجة للتفاعل السريع وغير المنظم الذي يوفره الإنترنت، مما قد يؤدي إلى ظهور ظواهر ثقافية جديدة قد تتصادم أحيانًا مع الديناميكيات الثقافية المحلية .إن التشبث بهويات معينة داخل هذه الفضاءات قد يفضي إلى انقسام اجتماعي وتوترات، حيث تنشأ تناقضات بين القيم التقليدية والمتغيرات المستحدثة التي تروجها الثقافة الرقمية.

في الإجابة على الإشكالية البحثية المطروحة يمكن القول إن الثقافة والهوية الاتصالية في العصر الرقمي تمثل قضية معقدة تتطلب وعيًا مستمرًا بآليات التغيير والتحول في الأبعاد الاجتماعية والثقافية حيث تبين أن البيئة الرقمية توفر إمكانيات لتعزيز الهوية الثقافية، لكنها في الوقت نفسه تخلق تحديات كبيرة تتعلق بالمحافظة على الخصوصية الثقافية وسط العولمة المتزايدة .من خلال فحص الفرضيات اتضح أن التفاعل الثقافي عبر الفضاء الرقمي يمكن أن يؤدي إلى تعزيز الهوية الثقافية وتوسيع نطاقها بشرط أن يتم تبني استراتيجيات تهدف إلى تعزيز القيم الإنسانية المشتركة، والحفاظ على الخصوصيات الثقافية في سياقات متعددة.

قائمة المراجع

Herber, B. (1969). *Symbolic interactionism: Perspective and method. Englewoo.* Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall .

Hogg, M. (2016). *Social Identity Theory. In Understanding Peace and Conflict Through Social Identity Theory.* Switzerland: Springer International Publishing.

سمهان بن لعلام، و كريمة وبنان. (2021). تأثير تكنولوجيا الإعلام والاتصال على مستقبل الهوية الثقافية : الهوية العربية الإسلامية أنموذجا. *المجلة الجزائرية للعلوم الاجتماعية والانسانية، 9*(2)، 308-298.

.Manganari, E. (2021). The role of emojis in online communication and identity construction. The International Technology Management Review, 27(2), 1–11.

أحمد عبد الله المعز ابكر. (2022). دور شبكات التواصل الاجتماعي في تنمية الوعي الثقافي في جامعة شندي. *مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، 3*(12)، 581-555.

أحمد مصطفى أبو زيد. (1975). *البناء الاجتماعي*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

اسمهان كسيرة. (2017). الهوية الافتراضية في ظل الإعلام الجديد. *مجلة الحكمة للدراسات الاعلامية والإتصالية، 5*(2)، 134-128.

الحازمي مبارك بن واصل. (2022). . مستقبل الإعلام التربوي في ظل التحول الرقمي. *مجلة بحوث التربية النوعية، 67*، 1347-1318.

أمين البار، و إيمان دني. (2021). الثقافة الرقمية والتغلغل الهوياتي الناعم. *المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، 10*(2)، 92-83.

جمال الدهشان. (2018). دور تكنولوجيا المعلومات في دعم التحولات الرقمية. *المجلة الدولية للبحوث في العلوم التربوية، 1*(2)، 188-127.

زكي معتصم . (2005). الشاشة الصغيرة وأثرها على سلوكيات الأطفال. *مجلة التربية، 34*(154)، 273-264.

صليحة محمدي، و بخوش سامي. (2021). الثقافة الرقمية: دراسة تحليلية في المفهوم. *المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، 10*(2)، 10-1.

فاطمة الزهراء بن أحمد، و نادية بن أحمد. (2025). التحول الرقمي في الجزائر: الواقع والتحديات دراسة حالة. *المجلة الجزائرية للملية العامة، 15*(1)، 512-501.

فضيلة توميو، و نبيلة بوخبزة. (2015). الهويات في مواجهة ثقافة المجتمع الشبكي المختلف. *مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، 7*(21)، 256-241.

كلثوم بيمون. (2016). السياقات الثقافية الموجهة للهوية الرقمية في ضوء تحديات المجتمع الشبكي. *مجلة إضافات*(33)، 85-69.

ليلى صلي ، و محمد العربي يوسف. (2022). الهوية الرقمية (النشأة والتعريف والمعايير الفنية). *المجلة العلمية بكلية الآداب*(46)، 904-888.

مالك بلالي. (2016). العولمة الثقافية وأثرها على الهوية الثقافية للشباب. *مجلة المعيار، 7*(2)، 122-116..

هدى كريملي. (2022). الثقافة الرقمية ورهان الهوية الدينية عند الشباب المغربي. *المجلة الجزائرية في الأنتروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، 95*، 77-100.